الكتابُ الجامعيُّ بين مدِّ المعاييرِ العالميّةِ وجزرِ المعوّقاتِ المحليّةِ

(نحو كتابٍ جامعيٍّ يواكب التغيّرات العالميّة)

د. خـــلايـــفـــيّـــة محمّد

قسم علم النّفس وعلوم التربية والأرطوفونيا

جامعة الجزائر 02

ملخّص البحث :

المنهاج الدراسيّ بمفهومه الحديث، نظامٌ متكاملٌ تكوّنه أربعة عناصر متواظفةٌ هي: الأهداف، والمحتوى، والفعاليات، والتقويم. وهذه العناصر لا تصبح ذا فعاليّةٍ إلاّ إذا ارتبطت فيما بينها ارتباطاً عضويا؛ ومن ثمّ، فالإعداد لمنهاجٍ تربويّ ناجحٍ يشترط جودة هذه العناصر من جهة، ومراعاة ما بينها من ترابطٍ من جهةٍ أخرى، إذْ لا نجاح لأيّ عملٍ إصلاحيّ تربويّ إذا لم يستغرق جميع تلك العناصر؛ وهذا ما يسمّيه علماء التربية بـ: «شموليّة الإصلاح التّربوي» وذلك ضِمْنَ المكوّنات الثلاثة لأيّ نظام تربوي وهي: المدخلات والعمليات والمخرجات حيث تستوفي المدخلات الأهداف وما يتصل بها من محتوى، وتركّزُ العمليات على الفعاليات والأنشطة والأساليب وما تتضمنه من طرائق ووسائل وتقنيات وكتب ومراجع وأدلة وبيئة وتقويم بينما المخرجات فمجالها المتعلّمين، وما يحصّلونه من معارف ومواقف واتجاهات ومهارات تتآزرُ جميعها لتحقّق الأهداف المنشودة. وفي هذا الحراك، يبرزُ دور الكتاب كحاملٍ لتلك الجهود الفكريّة والعلميّة والمسلكيّة والتقنيّة، تلك التّي تنشدها المعايير العالميّة من أجل تحقيق الأفضل في مجالات العولمة والعالميّة.

مقدّمة :

المنهاج الدرّاسيّ بمفهومه الحديث، نظامٌ متكاملٌ تكوّنه أربعة عناصر متواظفةٌ هي: الأهداف، والمحتوى، والفعاليات، والتقويم. وهذه العناصر لا تصبح ذا فعاليّةٍ إلاّ إذا ارتبطت فيما بينها ارتباطاً عضويا؛ ومن ثمّ، فالإعداد لمنهاجٍ تربويّ ناجحٍ يشترط **جودة هذه العناصر** من جهة، ومراعاة **ما بينها من ترابطٍ** من جهةٍ

أخرى، إذْ لا نجاح لأيّ عملٍ إصلاحيّ تربويّ إذا لم يستغرق جميع تلك العناصر؛ وهذا ما يسمّيه علماء التربية بـ: «**شموليّة الإصلاح التّربوي**» وذلك ضِمْنَ المكوّنات الثلاثة لأيّ نظام تربوي وهي: المدخلات والعمليات والمخرجات حيث تستوفي المدخلات الأهداف وما يتصل بها من محتوى، وتركّزُ العمليات على الفعاليات والأنشطة والأساليب وما تتضمنه من طرائق ووسائل وتقنيات و**كتب** ومراجع وأدلة وبيئة وتقويم بينما المخرجات فمجالها المتعلّمين، وما يحصّلونه من معارف ومواقف واتجاهات ومهارات تتآزرُ جميعها لتحقّق الأهداف المنشودة.وفي هذا الحراك، يبرزُ دور الكتاب كحاملٍ لتلك الجهود الفكريّة والعلميّة والمسلكيّة والتقنيّة، تلك التّي تنشدها المعايير العالميّة من أجل تحقيق الأفضل في مجالات العولمة والعالميّة.

1- فما هي مواصفات الكتاب الجامعي في ميزان المعايير العالميّة لجودة الكتاب الجامعي ؟

2- و ما هي المعوّقات المحلّية التّي تحول دون تحقيق الجودة في كتابنا الجامعي؟

تعريف بالمفاهيم الواردة في البحث:

الكتاب:

يقال: كَتَبَهُ كَتْباً وكِتَاباً : خَطَّه، وأكتبه، واستكتبه: استملاه. والإكتاب والتكتيب: تعليم الكتابة **والإملاء. والكتاب: ما يكتب فيه. ومن معانيه الصحف المجموعة، والرسالة، والقرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل، والفرض، والحكم، والقدر، والأجل، ومؤلف سيبويه في النحو. وأم الكتاب: الفاتحة، وأهل الكتاب: اليهود والنصارى، وهذه الاشتقاق والمعاني ما اتفقت عليه معاجم اللغة العربية (الزاوي بدون ت : ص: 522).**

الكتاب الجامعي: من أبرز الأدوات التعليمية استخداماً في مؤسّسات التعليم الجامعي، إذ تعتمد عليه المواد والوحدات الدراسية (modules) في مختلف مراحل هذا التعليم فهو وسيلة أساسية لا غنى عنها لطالب العلم، ولقد تعددت تعريفات الكتاب الدّراسي والجامعي، ومنها أنّه: «الوعاء الذي يحوي معارف ومفاهيم يراد إيصالها إلى المتلقي (طالب العلم) » **(أوبير، رونيه، 1977، ص: 661).**

المعيار (Norm):

لغة: ما يقدر به غيره، ويرادفه العيار .

واصطلاحاً: ما جُعِلَ قياساً ونظاماً للشّيء؛فالمعيارُ في الأخلاق هو النموذج المثالي الذّي تقاس به معاني الخير، وفي علم الجمال هو مقياس الحكم على الإنتاج الفنّي، وفي المنطق هو قاعدة الاستنساخ الصّحيح، وفي نظريّة القيم ـ الغربيّة ـ (Axiology) هو مقياس الحكم على قيم الأشياء. **والمعياري** (Normatif) هو المنسوب إلى المعيار، ومنه **العلوم المعياريّة** (Siences Normatives) وهي عند (ووندت)، العلوم التّي تهدفُ إلى صوغ القواعد والنّماذج الضّروريّة لتحديد القيم،كالمنطق، والأخلاق، وعلم الجمال، وهي مقابِلةٌ للعلوم المسمّاة بالعلوم التّفسيريّة، أو التقريريّة (Siences Explicatives)، وهي تلك التّي تقوم على ملاحظة الأشياء، وتفسيرها، كما هي عليه في الطّبيعة،فهي إذا خبريّة، بخلاف المعياريّة التذي يمكن تسميتها بالعلوم الإنشائيّة (**صليبا، جميل. ج:02، ص:401-402**).

ومن ثمّ فالمعيار: مجموعة من الشروط (condition) **والأحكام** (Judgment) **المضبوطة علمياً التي تستخدم كقاعدة** (Rule) **للمقارنة والحكم على نوعية ما أو كمية ما، بهدف تعزيز ما شُخِّصَ من مواطن قوة فيها، وعلاج ما اكتشف من قصور ونقص** .

الجودة (Quality)،

لغة: بمعنى الشيء الجيد، ويطلق على من عمل عملا فأحسنه وأجاده .

ولقد **وردت كلمة الجودة في القرآن** في قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [**ص**:30 ـ 31]، وذلك حينما عُرض على نبيّ الله سليمان عليه السلام عشية يوم من الأيام (بعد الزّوال) الخيل الصافنات جمع صافنة، وهي القائمة على ثلاثٍ، والقائمة الأخرى على طرف الحافر،كناية عن النشاط والحيوية والقوة والتأهب للانطلاق والانقياد بفارسها، وهو من صَفِنَ يصفُن صفوناً الحافر. أما لفظ (الجياد) جمع جواد، وهو السّابق المعنى أنّها إذا استوقفت سكنت، وإن ركضت سبقت (**تفسير الجلالين.ص**:382).

ومن وصف القرآن الكريم للخيل، أطلق لفظ **جواد** على الحصان، وذلك لما يمتاز به من جري سريع وقويّ. **كما ورد معنى الجودة في حديث للنبيّ** ﷺ: « **إنّ الله يحبُّ إذا عمل أحدُكُم عَملاً أنْ يتقنَهُ** » (**حديث صحيح**).

أمّا اصطلاحاً:

فمفهوم الجودة تتقاسمه مجموعة من المقاربات، يتّخذ جلّها المنحى الاقتصادي البحت، فقد عرفت الجودة على أنّها رضى المستفيدين عن السلعة أو الخدمة وخلوّها من العيوب، وهي أيضاً معرفة ما يريد المستفيد من الخدمة وتحقيق رغبته بتقديم خدمة تخلو من النقائص والعيوب (خدمة جيّدة). أمّا في حقل التربية والتعليم، فتبرزُ الصّعوبة أكثر في تحديد مفهوم الجودة – بطريقة مباشرة – رغم كثرة تداوله في أدبيات التعلّم والتعليم، وقد ذهب البعضُ إلى أنّ مفهوم الجودة في التعليم يعتبرُ مفهوماً محيَّرا (insaisissable – Elusive) وهو ليس ذاته ذلك الذّي يستخدم في الصناعة؛ وتأسيسا على هذا، **ويرى بعض التربويين أن مفهوم الجودة في التربية والتعليم يقع ضمن ستة محاور رئيسة هي** :

1. **الجودة تعني تحقيق الأهداف**: أي أن مؤسسة التعليم العالي ذات الجودة العالية هي التي تضع أهدافاً محددها لها وتحققها بشكل جيّد.
2. **الجودة بالمدخلات والعمليات**: فتحقيق الأهداف يتوقف على جودة المدخلات المادية والبشرية المستخدمة، ومجموعة الطُّرق والعمليات المستخدمة في استثمارها.
3. **الجودة المعيارية**: يكون مفهوم الجودة معيارياً بدلاً من كونه وصفياً فقط، إذْ يحكم على الأداء بأنّه ممتاز أو جيّد أو سيّئ وفق معايير محددة.
4. **الجودة المتوازنة**: التعليم الجيد هو التوازن بين الكم والنوع.
5. **الجودة التكنوقراطية**: وهي قدرة النظام التعليمي على تلبية احتياجات المجتمع التكنولوجية والاقتصادية.
6. **الجودة ثلاثية الأبعاد** : وهي تشكيلة مركبة من ثلاثة نوعيات فرعية هي :

- **جودة التصميم**: ويتم فيه تحديد المواصفات والخصائص التي يجب أن تراعى في التخطيط والعمل.
- **جودة الأداء**: وهي القيام بالأعمال وفق المعايير المحدّدة .
- **جودة المخرج**: وهي الحصول على منتج تعليمي وخدمات تعليمية وفق الخصائص والمواصفات المتوقعة (الحنيطي.2004.ص:03 – بتصرّف).

ومن هذا، يمكن أن يُعْطَى لجودةِ الكتاب الجامعي التعريف الإجرائي الآتي: «توافق وتناغم الشروط والمواصفات الواجب توافرها في الكتاب الجامعي مع المعايير السليمة المتعارف عليها؛ وصولاً للتعليم والتعلم الفاعل الذّي يتعايش مع الحياة العملية بأقل جهد وزمنٍ وتكلفة».

المعوّقاتِ المحليّةِ لتحقيق الجودة في كتابنا الجامعي:

للكتاب الجامعي محاسن وإيجابيات كغيره من الأعمال الكتابيّة، لكن في المقابل تشوبه مجموعة من العيوب والمساوئ **كشفت عن بعض جوانب قصوره، وأكّدت الحاجة إلى تطويره، ولعل من أهمّها:**

- بطء الصيرورة العلميّة للكتاب الجامعي، وهذا يعني تخلّف المستوى العلمي عن التطوّر الحاصل في أقطار العالم، فرغم تراكم العديد من الكتب الجامعية،إلاّ أنّها تقادمت علميّاً.
- التناقض والاختلاف بين موضوعات المقرّر الواحد في الأقسام المتناظرة، من حيث:

– المدى – والاتساع – والعمق – والتنظيم – والمنهجيّة – والمفاهيم – ...

- اختلاف المفاهيم والمصطلحات، وتباين المسميّات للمسمّى الواحد، وليس ذلك من قبيل اختلاف التنوّع، إنّما هو اختلاف اضطراب وعدم ضبط.
- التّكرار في الموضوعات، والتشابه في ما يعطى من معلومات، رغم اختلاف تسمية الوحدات الدّراسيّة، وغالباً ما تجد التكرار المملّ فيها، ومن ثمّ فلا حدود واضحة بين العديد من الوحدات. وانعدام التنسيق بين مدرِّسي الوحدات المتماثلة على جميع المستويات.
- فقد العلاقة بين التأليف والبحث، ليصبح الباحث فينا ناقلاً أميناً لآراء وخبرات الآخرين دون أدنى جهدٍ للتّحليل والنّقد والمناظرة. وشكلية التقييم والتقويم وعدم فعاليته.

- عدم ارتباط المحتويات بواقع المجتمع أو خططه أو منجزاته أو مشكلاته.
- عزوف الأساتذة القدماء عن التأليف، و ندرة التأليف الجماعي للكتب الجامعية المتخصّصة بما يضفي عليها طابع الخبرة والشّراكة.
- عدم وجود دلائل ببليوغرافية عصرية للكتب المؤلفة أو المترجمة ؛ والاعتماد اللاّمؤسّس على كتب أعجميّة مجهولة الحال عند تأليف الكتب المماثلة، فتأتي موضوعاتها مقيلة، ومحتوياتها نحيلة، ولغتها غير قويّة هزيلة، مع وجود أخطاء ابيستيمولوجيّة ثقيلة .
- صعوبات في تسويق الكتب الجامعية محلياً وعربياً وعالميّاً.

ومن أصعب المعوّقات في سبيل تحقيق جودة عالية لكتابنا الجامعي، أنّه غير مدعومٍ مالياً، ولا مسنودٍ استراتيجيّاً.وكأنّ الكتاب الجامعي لا علاقة له بالتطوّر العلمي والفكري والاقتصادي؛ وذلك لأنّ ثقافة حبّ الكتاب تكاد تنحصر في فئةٍ قليلةٍ جدّاً،هي فئة الباحثين الجادّين.

جودة الكتاب الجامعي، متعلّقات ومستلزمات:

إنّ جودة الكتاب الجامعي في عمقها تعكسُ جودة المادة التعليمية، والتي بدورها تعكسُ جودة العملية التربويّة التعليميّة برمّتها، ومن ثمّ ،وبنظرةٍ تكامليّة شاملةٍ، يُسْتَنْتَجُ أنّ هذه الجودة لها جملةٌ من المتعلّقات المستلزمات هي :

المتعلّقات والمستلزمات :

- جودة العنصر البشري (من الطلبة، والأساتذة ، وجميع الشّركاء الجامعيين).
- جودة مكان العلم (التعليم والتعلّم) بما يحتويه من قاعات للدّراسة، ومختبرات، ومكتبات، وورشات ووسائل، وتقنيات . الخ ...
- جودة الإدارة البشريّة مع ما تعتمده من قوانين وأنظمة، وما تعتمده من هياكل ووسائل ومواد .
- ثمّ جودة المنتَج المتمثّل بالخريجين والخدمات المجتمعية والأنشطة البحثية بالإضافة إلى الاكتشافات والاختراعات والبراءات وما إلى ذلك.

ويرى جوزيف جوران – أحد الباحثين في مجال الكتاب الجامعي - أنّ: جودة الكتاب الجامعي تعني المواصفات التي تُشبع حاجات المستفيدين، وترضيهم،أي: جميع المتعاملين مع هذا الكتاب داخل الجامعة وخارجها،أفراداً أو جماعات. مع عدم احتوائه على العيوب القادحة وانطلاقاً من رؤية (جوران)، **فالرقابة على جودة الكتاب الجامعي تتضمن :**

- التحقق من توفّر المواصفات المطلوبة .
- تقويم الأداء الفعلي.
- مقارنة الأداء الفعلي المتحقق بالأهداف الموضوعة .
- معالجة القصور باتخاذ الإجراءات التصحيحية المناسبة .

(الحنيطي.2004.ص:03 – بتصرّف)

ضمان جودة الكتاب الجامعي :

عندما نتحدّث عن ضمان جودة الكتاب الجامعي نعني: وجود الاتّجاهات والأهداف والإجراءات التي تضمن المطابقة (conformity) مع المعايير الأكاديمية المحلّية والعالميّة المناسبة .

ويمكن تلخيص أهم المواصفات التي تؤسّسُ الإطار الضامن لنجاح ونجاعة الكتاب الجامعي، في الآتي:

- أن تكون له أهداف واضحة. قابلة للملاحظة والقياس والتقويم، وأن يحقّق مضمونه الأهداف التي وضع من أجلها .
- أن تكون له مقدمة توضح أهدافه وطريقة بنائه وأسلوب تنظيم محتواه .
- أن يتلاءم مضمونه مع محتوى المنهاج، وأن تكون له عناوين رئيسة وفرعية لكلّ موضوع .
- أن يكون أسلوبه في عرض المادة متدرجاً ومنطقياً ومتكاملاً ومترابطاً .
- أن يتناسب محتواه مع عدد الساعات المحددة له، وأن يتم التحقق من ذلك تجريبياً .
- أن يحتوي على الرسوم والأشكال والجداول التوضيحية المناسبة للمحتوى .

- أن يستخدم أساليب مناسبة للتقويم التكويني (المرحلي) والنهائي، والتي يمكن طالب العلم أن يحكم من خلالها على درجة تمكنه من المواد التّي درسها .
- أن يكون فيه ما يحفّز طالب العلم على التفكير بمختلف أنواعه، كأن يتضمن أسئلة مفتوحة في نهاية كل فصل، تستدعي التفكير والعصف الذهني .
- أن يتناسب مع مستوى طالب العلم في لغته وأسلوبه وطريقة العرض.
- أن يوجه طالب العلم إلى النشاطات المتنوعة ذات الصلة ،وإلى مصادر المعرفة الأخرى.
- أن يربط فعليّا بين المسائل النظرية والتطبيقية،عامداً إلى استثمار مصادر المعرفة والعلم المتوافرة في البيئة المحلية،رابطاً إياها بالواقع المعيش.
- أن يساعد طالب العلم على **حسن فهم** ما يقدّمه له المحاضر. وأن ينمي أسلوب التعلم الذاتي والتعاوني لديه،ويزيد من قدرته على البحث والاستقصاء، ويعزز روح العمل الجماعي والتشاركي (أحمد سيد مصطفى ومحمد الأنصاري. 2002 – بتصرّف).

تقويم الكتاب الجامعي:

ينبغي أن يُعْلَمَ أنّ تقويم الكتاب الجامعي متناغمٌ مع التقويم الشامل للتعليم العالي، وذلك ضمن سياق نظام الجودة الشاملة للمؤسسات التعليمية، بل مع نظام الجودة الشاملة لحركيّة المجتمع والأمّة، **ويعتبر هذا التقويم أحد آليات ضمان جودة العملية التعليمية**. وذلك أنّه يبعث في النّفس الثقة في نوعية هذا الكتاب، والاطمئنان على مستواه ،وأنّه يحقّق الأهداف التعليميّة التعلّمية، ويفي بالمواصفات المطلوبة في عمليّة التنمية الشّاملة، بدءاً بتنمية طالب العلم نفسه .

وبناءً على ذلك، يؤكّدُ علماء التربية عند تقويم الكتاب الجامعي على ضرورة التركيز على أربع زوايا رئيسة هي (الحنيطي.2004.ص:03 – بتصرّف):

أ- مقدمة الكتاب: إذ ينبغي أن :

- تشرح أهداف تدريس الكتاب .

- تعرّف بأسلوب تنظيم الكتاب وطريقة عرض محتواه .
- ترشد إلى الطرائق والأساليب المناسبة لتناول مادة الكتاب.
- تعطي فكرة موجزة عن محتويات الكتاب الجامعي.

ب- محتوى الكتاب : والذّي ينبغي أنْ :

- تتوافق بنوده مع بنود المنهاج، و تغطي موضوعاته مفردات المقرر .
- تتمشّى موضوعاته التغيرات والمستجدات مراعية الدقة العلمية والفنية وصحتها .
- يتناسب مع الحصص المقررة له مراعيا تسلسل المعلومات وترابطها .
- يتناسب مع مستوى نمو الطلبة وقدراتهم .باشتماله على نشاطات متنوعة تساعد على التفكير والاستقصاء، وتحفّز على التعلم الذاتي لجميع فئات الطلبة .
- يربط بين المعلومات النظرية والتطبيقات العملية،متضمّناً مواقف تطبيقية متنوعة وشاملة.
- يهتم بتوضيح المصطلحات والمفاهيم ويحتوي على قائمة بها، مع توظيف جميع ما يخدم أهدافه من أشكالٍ ورسومٍ وبيانات، ويحدد أهدافاً لكل فصل من فصوله.
- يرفع التحدّي في وجه الطلبة المتفوقين ويحفّزهم للمشاركة وطلب العلم.
- يشتمل على وسائل تعليمية مناسبة للمادة العلمية، وبالمواد الأخرى ذات صلة.
- يشتمل على قائمة مراجع ومصطلحات يمكن الرجوع إليها لإثراء المعرفة.
- يرسّخ القيم الأصيلة والأخلاق السامية لدى الطلبة، وينمّي فيهم الاتجاهات الإيجابية.
- يتناول بعض المشكلات المعاصرة، وخاصة ما يتصل منها بالمجتمع المحلي.

ج – أسلوب عرض المادة في الكتاب: وينبغي أن:

- يربط المادة العلمية بخبرات وبيئة المتعلّمين اليوميّة (المعيشة).
- يعرض المادة بشكل متسلسل مترابط (منطقياً وأندراغوجيّاً).
- يعرض المادة بطريقة تتيح الفرصة لحريّة الرأي في الموضوع الواحد.

- يستخدم تعابير سليمة ولغة تناسب مستوى نمو المتعلمين (المقروئية).
- تتوافر فيه عناصر التشويق والترغيب، باستخدام تمارين وأنشطة متنوّعة.
- يخلو من الأخطاء الإملائية والنحوية، ومن الحشو والتّكرار.
- يُكثر من المواقف التي تحفّز الطلبة على الاستنتاج والتفكير.
- يستخدم طرائق متنوعة للتقييم والتقويم.

د – إخراج الكتاب:

- طباعته واضحة ونظيفة (جميلة)،ومتّسقة في استخدام علامات الترقيم، والمسافات بين الكلمات وكذلك السطور مناسبة ،بما يضفي عليه عنصري : الجاذبيّة والتّشويق .
- تصميم الكتاب الخارجي يتلاءم مع محتوى المادة ،وورقه مناسب لاستخدامات المتعلّم .
- تدوين أسماء المؤلفين والمترجمين والمحقّقين على صفحات الغلاف، كما يحتوي على فهرسٍ بالمحتويات مشاراً إلى صفحاتها.

أدوات تقويم الكتاب الجامعي :

يمكن للباحث المتخصّص أن يجري عمليّة تقويم للكتاب الجامعي، وذلك باستخدام مجموعة من الآليات منها :

- الاستبيان – المقابلة الشخصية . – الملاحظة والمشاهدة المباشرة . – المسح الهاتفي
- المسح البريدي . – المسح بالبريد الالكتروني . – المسح عن طريق الإنترنت.
- المقابلات المباشرة بالحاسوب . – المقارنة والإسناد . – الاختبارات التحصيلية ...

و على العموم، فإنّ لكل أداة من هذه الأدوات مميزاتها وعيوبها، لذا لابدّ من انتقاء الأفضل من حيث الملاءمة، والوقت، والجهد، والتكلفة، وصدقها وثباتها، بما يتناسب مع الجهة المقوِّمة أو المشاركة في التقويم (طلاب، خريجون، خبراء...)، ويمكن أن نطلق على ذلك الخصائص السيكومتريّة.

لماذا تقويم الكتاب الجامعي ؟

يرى جمعٌ غفيرٌ من الباحثين، أنّ عملية تقويم الكتاب الجامعي تهدفُ إلى تطويره، ومن ثمّ الإسهام في تطوير التعليم العالي عبر تحديث منهاجه، وذلك من خلال:

- نشر ثقافة التقويم، وزيادة وعي الأستاذ والطالب بأهمية التقويم .
- التعرف على معايير جودة الكتاب الجامعي ومراقبتها وضبطها .
- توظيف نتائج التقويم في تطوير الكتاب الجامعي وتحسين جودته باستمرار .
- التعرف على كفاءة الكتب الجامعية في الجامعات، ولاسيما من حيث حداثة المادة العلمية وجدة معلوماتها،بالإضافة إلى مدى توافقها مع السياسة التعليمية وثقافة المجتمع وخصوصياته .
- تحديد الجوانب الإيجابية (نقاط القوة) والسلبية (نقاط الضعف) في هذه الكتب، لغرض اتخاذ القرارات الفاعلة لمعالجة المعوّقات ورفع كفاءات استخدام الموارد وتحقيق الأهداف المرجوة، وبناء وتطوير القدرات في مجالات التأليف، وإعداد الخطط الدراسية، وتصميم المقررات التدريسية .
- الوقوف على توقعات المستفيدين، ومدى رضاهم، والتعرف على احتياجاتهم واقتراحاتهم.
- توثيق الإجراءات والعمليات والتعليمات والأنظمة الخاصة بالكتاب الجامعي .
- بناء قواعد معلومات مفيدة،واستخراج مؤشرات ذات دلالة (عبد الله سعيد.2007، ص: 11 – بتصرّف).

آفاق تطوير الكتاب الجامعي :

إنّ الأسلوب الأكثر انتشاراً في جامعات الدول المتطوّرة (**اعتماد الطالب على أكثر من مصدر علمي**) سيدفعُ طالب العلم إلى حضور المحاضرات، ويحفّزهم على ارتياد المكتبات ويزيد من انضباطيّة المحاضرة، كما يقوي العلاقات والروابط الأكاديمية المطلوبة بين الطالب والمدرس وبين الطالب والجامعة، بل بين الطّالب وزملائه، ولاسيما في الأقسام النظرية، وينمي القدرة على البحث العلمي، ويحسن من مستواه في اللغات الأجنبية بسبب حاجته إلى الإطلاع على المراجع الكثيرة والمتنوعة والاستزادة من محتوياتها، وإلى

الاحتكاك بالثقافات الأخرى والتواصل مع الفكر العالمي ومواكبة المستجدات الاختصاصية المتسارعة بإطّراد في عصر المعلوماتية ومجتمعاتها،عصر العولمة . (**عبد الله سعيد.2007، ص:11**)

إن العيوب والمساوئ التّي قد يوصف بها الكتاب الجامعي، لا تقلل أبداً من قيمته، بل تدفعُ إلى ارتسام آفاقٍ طامحةٍ في ما هو أفضل، والتّي تدعو وبثبات إلى :

- إزالة جميع الشوائب التي مازالت بعض الكتب الجامعية تعاني منها لنرتفع إلى جدية التقويم العلمي، وصرامة التدقيق اللغوي، ودقة المصطلحات العلمية، وجودة الطباعة والإخراج وتضمين الكتاب الجامعي قوائم بالرموز والمقادير المستخدمة فيه وفقاً للمعايير والمواصفات الدولية المتبعة في هذا الشأن.

- تكثيف التأليف في المقرّر الواحد،أو المقياس الواحد، أو الوحدة الواحدة إلى تأليف المرجع العلمي الاختصاصي اعتماداً على تعديل وتحديث وضبط مصطلحاتها العلمية وتوحيدها وإغنائها وتوسيعها لتشمل مقابلاتها باللغات الأعجميّة، كالانكليزية والفرنسية والألمانية...، والعمل في مرحلة لاحقة على إصدار معاجم موحدة عن المصطلحات الاختصاصية، وذلك بالتنسيق بين المقابلات العربية للدلالات الاصطلاحية .
- إغناء المكتبات الجامعية بالكتب الاختصاصية من أمهات الكتب العالمية، بلغاتها الأعجميّة التي ألفت بها.
- تقوية حركة الترجمة وتوسيعها ولاسيما للمراجع والكتب والموسوعات العلمية لتكون جاهزة باستمرار في متناول الطلاب والباحثين وأساتذة الجامعات، والبدء في ترجمة البحوث الحديثة والمجلات والدوريات العلمية وبخاصة في الميادين والتخصصات الهامة. (**عبد الله سعيد.2007، ص:15 – بتصرّف**).

إنّ حركات التأليف والتقدم كانت دائماً تتلو حركات الترجمة والبحث .وهذه حقيقة في جميع الحضارات سواءً عند العرب قديماً أم عند دول آسيا وأوروبا حديثاً، وعلينا أن نلحق بهم بالعلم والعمل مقتفين أثار أجدادنا وخطاهم. إن مسألة الترجمة هي مظهر هام من مظاهر الحضارة والتحضّر؛ ذلك أن

الشخصية لا يمكنها أن تستمر في الحياة والوجود إلاّ في علاقاتها وحواراتها مع الحضارات والأمم الأخرى.

- العمل على جعل كلٍّ من الطالب والأستاذ يحسنُ لغة أعجميّةً واحدة على الأقل لجعلها بوابةً في استمرار الاتصال بالتطور العلمي العالمي، والتمكن من إكمال الدِّراسة والتخصص والبحث والنَّشر في اللغات والبلدان والمجلات والدوريات الأجنبية **وهنا لابد من توجيه العناية إلى كيفيّة وكميّة تدريس اللغة الأعجميّة، والحثّ على ذلك منذ المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية .**
- الحثّ على زيادة معارض الكتب وتكثيف المشاركة فيها، سواء تلك التي تقام في الأقطار العربية، أو في غيرها من الدّول الغربيّة، وذلك بهدف دعم الحركة العلمية والثقافية والفكرية المحليّة من جهة، وإبراز التجارب العربيّة من جهة، والإطّلاع على ما عند الغرب من جهةٍ ثالثة. كتجربة سوريا الرائدة في مجال تعريب المناهج والمراجع العلمية (**عبد الله سعيد.2007،ص:08 – بتصرّف**).
- إحداث هيئات متخصّصة للمناهج والكتب والمراجع في كلّ جامعة.

-دون محسوبيّة أو اتّكاليّة- توجد فيها جميع الاختصاصات والفروع والأقسام العلمية في الجامعات، يكون من أولويات عملها تطوير وتحديث الكتب والمراجع العلمية، وإجراء دراسات الحالة والمقارنة، والبحوث الوصفية والتقويمية والتحليلية لمختلف قضايا المناهج وموضوعاتها. وتحليل الكتب الجامعية وأهدافها العامة والخاصة، ولاسيما في مجالات تركيب الكتاب ومدى الترابط في محتواه، ومدى ملاءمته للطلاب، وكذلك وحدته، ومدى انسجامه مع المناهج المقررة .

ومما يلاحظ أنّ الأدب التربوي أو علوم التربية في الوطن العربي والإسلامي **– ماعدا بعض التجارب كالتجربة الماليزيّة مثلاً – يخلو أو يكاد من الدراسات المعمّقة أو الجادة والشّاملة في مجال الكتاب الجامعي وما يتعلّق به من مشكلات .**

- بناء استراتيجيّة عربيّة – كمرحلةٍ أولى – تبحث في الكتاب العربي الجامعي، تمثّلها مؤسّسات متخصّصة، بهدف نشر ودعم الكتاب الجامعي وتحسين نوعيته وإغناء تجربته.

- العمل على إنشاء مؤسسة عربيّة جامعةٍ متخصصة لنشر الكتب العلمية على مستوى الوطن العربي بهدف دعم الكتاب الجامعي وتحسين نوعيته وإغناء تجربته.

التوصيات والاقتراحات :

- تدقيق جودة الكتاب الجامعي وتقويمه،وفقاً للمعايير العالمية المتعارف عليها وتكليف مديريات الجودة والاعتماديّة – إن وجدت – في الجامعات بالعمل على تحقيق ذلك أو إنشاء لجان توكلُ إليها هذه المهمّة، ووضع دليل ضمان جودة الكتاب الجامعي، والعمل على تطويره بصورة مستمرّة.
- تكليف **أساتذة المقياس الواحد** في الأقسام العلمية المتماثلة في جميع الجامعات بتأليف المرجع العلمي للمقرّر الذي قاموا بتدريسه لمدة تكفي للحكم على جودة التخصّص أو المنهاج أو الوحدة الدّراسيّة.
- اعتماد وترجمة الكتب الجامعية المقرّرة في إحدى الجامعات العالمية من إحدى الدول المتقدمة في الاختصاص، وتكليف خريجي تلك الدول بهذه الترجمة، على أن يكونوا ممّن قاموا بتدريس تلك المقرّرات لمدة تكفي للحكم على جودة التخصّص أو المنهاج أو الوحدة الدّراسيّة.
- تشكيل لجان تدقيق علمي للمراجع العلمية، وللكتب الجامعية، على أن تتألف كل لجنة من عدد محدّد من الأعضاء، يقومون بتقديم تقاريرهم التدقيق انفرادياً وسرياً .
- تشكيل لجان تدقيق في الترجمة ،وفي اللغة والنّحو العربيين، وذلك من قبل أساتذة من أقسام اللغة العربيّة واللغات الأعجميّة، على أن يقدّموا تقاريرهم انفرادياً وسرياً.
- تحويل المناهج الدراسية أو الوحدات الدّراسيّة أو المقاييس (Les modules) إلى مقررات وكتب إلكترونية لطلبة العلم النّظاميين وغير النّظاميين: (التربية للجميع : Education for All) .
- تسعير المرجع الجامعي باعتباره أحد الموارد الذاتية للجامعة،وتسعير الكتاب الجامعي بسعر التكلفة الفعلية الدنيا، دون المساس بحصص وحقوق الطلبة .
- مكافأة (récompenser –reward) جميع شركاء إخراج الكتاب أو المرجع إلى حيز الوجود، وتثمين المشاركة سواء في الترقيات الأكاديمية أو الوظيفيّة .

- إنشاء مطبعة حديثة التقنيات في الجامعات التي لا تتوفر فيها. وتخصيص جائزة لأفضل كتاب مُؤَلَّف، ولأفضل مرجع مترجم.
- توفير العدد الكافي من المعاجم والموسوعات والمراجع والسلاسل والدوريات اللازمة لكل تخصّص، ورقيّاً وإلكترونيّاً .

الخاتمة :

ختاماً، لابد من الاعتراف بأنه لا يمكن إيفاء جميع قضايا الكتاب الجامعي حقّها دون دراسات متعمقة ومتخصصة وجادّة، ولذا فمن الضّروري أن تستغرق الدّراسات اللاحقة المجالات التّالية:

- دراسة العلاقة بين جودة الكتاب الجامعي وكفاءات المؤلّف (الباحث أو الأستاذ)
- دراسة العلاقة بين الكتاب الجامعي ونظام التعليم ونمط التدريس (**كلاسيكي أو ل.م.د – L.M.D**).
- دراسة العلاقة بين الكتاب الجامعي وأساليب التقويم المستخدمة منذ زمن، أو تلك التّي جاءت مع نظام (**L.M.D**).
- دراسة التكامل بين الكتاب الجامعي وتقنيات التعليم والتعلّم .
- دراسة الملاءمة بين الكتاب الجامعي والبيئة التربوية التعلّمية / التعليميّة .
- دراسة وظيفيّة الكتاب الجامعي في العمليّة التعلّمية / التعليميّة
- دراسة وظيفيّة الكتاب الجامعي فنيّاً وبيداغوجيّاً ومهنيّاً .
- دراسة طرق تمويل الكتاب الجامعي في الجزائر والدول العربية والإسلامية،والدّول الغربيّة، والاستفادة من تجارب الجميع .

المراجع :

أ- القرآن الكريم.

ب- الجلاليين: تفسير القرآن الكريم، المكتبة الشعبية.

1. أحمد سيد مصطفى ومحمد الأنصاري برنامج إدارة الجودة الشاملة وتطبيقاتها في المجال التربوي منشورات المركز العربي للتدريب التربوي لدول الخليج، الدوحة – قطر، 2002.
2. الحنيطي، عبد الرّحمان.معايير الجودة والنّوعيّة في التعليم المفتوح والتعلم عن بعد، الشبكة العربية للتّعليم المفتوح، الأردن،2004.
3. حمود، خضير كاظم إدارة الجودة الشاملة، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن 2000.
4. سعيد . عبد الله : واقع الكتاب الجامعي ومدى تحقيقيه للغرض المرجو منه أسبوع العلم الخامس والثلاثون سوريا، اللاذقية، جامعة تشرين 1995.
5. صليبا،جميل. المعجم الفلسفي،دار الكتاب،بيروت،لبنان،ج:02، 1982.